# "صفقة القرن" من منظور الإعلام وهندسة الجمهور
# تحليل نقدي للخطاب الرسمي الأمريكي

عمر أبو عرقوب *

**ملخص:** تهدف هذه الدراسة إلى معرفة الكيفية والأساليب والتقنيات المستخدمة في الخطاب الإعلامي الأمريكي الرسمي، بوصفها محاولة لهندسة الجمهور فيما يتعلق بـ"صفقة القرن"، والدفع باتجاه التدفق الإعلامي للمصطلح إلى العالَم، بوصفه هدفًا ضمنيًّا ومدروسًا للخطاب الرسمي الأمريكي، إضافة إلى تعرّف المصطلحات المستخدمة والصور الذهنية التي تحاول الإدارة الأمريكية تنميط أطراف الصراع بها، ومعرفة الأطراف والمكونات الرئيسة لتعريف مصطلح "صفقة القرن" بحسب الرؤية الأمريكية، ودراسة السياقات التي استُخْدِمَ المصطلح فيها، وأبعاد كل ذلك. إضافة إلى أهمية إدراك مخاطر التدفق الإعلامي لمصطلح "صفقة القرن" ومضامينه الإعلامية على الجماهير المتلقية.

* باحث، فلسطين

# "The Deal of the Century" from Media and Propaganda Perspective

OMAR ABU ARQUB*

**ABSTRACT** This research aims at providing the know-how, methods, and techniques that are used in the official American media discourse in a bid to propagating what is known as 'Deal of the Century.' The American media discourse also aims at, deliberately and implicitly, normalize the media-wide usage of the term across the globe. Additionally, the research defines the American narrative, public image, and the terms used in describing the issue through which the American administration endeavors to standardizing the main conflicting parties, the main components defining the term: 'Deal of the Century' according to the American vision. In addition to studying the contexts within which the term has been used and its dimensions, the researcher emphasize the importance of realizing the hazards of media-wide usage of the term and its implicit reflections on the receiving populace.

* Researcher. Palestine

رؤية تركية
2018 - (7/4)
76 - 53

## مقدمة

بات مصطلح "صفقة القرن" الأكثر استخدامًا وانتشارًا لوصف الجهود الأمريكية في التوصّل إلى اتفاق سلام، بوصفه حلًّا للصراع الفلسطيني-الإسرائيلي خلال العامين الماضيين، وانتشر المصطلح في وسائل الإعلام المحلية والدولية، وعلى لسان القيادات السياسية والنخب الفلسطينية، من دون معرفة حقيقية ورسمية بدلالاته ومضامينه وبنود الصفقة التي يُروَّج لها، في حين أن الطرف الوحيد المتحكّم بغموض المصطلح ودلالته والمسؤول عن تدفقه إلى العالَم هو الجهات الرسمية الأمريكية التي بدأت بالحديث عنه ضمنيًّا بعد تولي الرئيس الأمريكي الحالي دونالد ترامب الرئاسة الأمريكية في نهاية عام 2016، إلا أنه حتى نهاية عام 2018 لم يطرح أي تصوّر واضح ورسمي حول "صفقة القرن" في وسائل الإعلام.

وقد استخدمت هذه الدراسة نظرية "هندسة الجمهور" (The Engineering of Consent) التي تتبع علم الاتصال و العلاقات العامة، والتي تستخدم للتعامل مع دراسة الأزمات الإعلامية، والحملات الانتخابية، والاتصال السياسي، وحملات العلاقات العامة، كما أن لهندسة الجمهور مستويين: هندسة الرسائل الإعلامية بدقة عالية آخذة بعين الاعتبار جميع عوامل التأثير وقوة الخطاب، ومستوى دراسة وتحليل الجمهور نفسه والوسيلة المناسبة لمخاطبته، إلا أن هذا البحث لن يتطرق إلى دراسة الجمهور المستهدَف نفسه، وإنما يركّز على بنية الخطاب الإعلامي الأمريكي ومستواه[1]. وكذلك على مفهوم التدفق الإعلامي المرتبط بتحكم الحكومات بمضامين الإعلام العالَمي وتدفّق المعلومات فيه بما يخدم مصالحها.

## منهجية الدراسة

استخدمت هذه الدراسة المنهج النوعي Qualitative (Approach) الذي يقوم على استخدام أدوات الملاحظة العلمية لجمع المعلومات والبيانات النوعية غير الإحصائية والعددية، ودراسة السلوك والمواقف الإنسانية، بتقديم التفسيرات الشاملة لموضوع أو مشكلة الدراسة، كما أنه يركز على تحليل الظواهر ووصفها وصفًا عميقًا وتستخدم هذه الدراسة أداةَ تحليل تُسمَّى "التحليل النقدي للخطاب" الإعلامي (Critical Discourse) – (CDA Analysis) لـ"تون فان دايك" (Teun A. Van Dijk)، ويُعَدّ التحليل النقدي للخطاب أحد المنهجيات والأدوات المتقدمة في دراسة الخطاب، التي تتعامل مع اللغة بوصفها أحد أشكال الممارسات الاجتماعية، كما تدرس كيفية إسهام النص والكلام في خلق السلطة الاجتماعية والسياسية، فاللغة والسلطة مرتبطتان مع بعضهما ارتباطًا كليًّا. ويهدف تحليل الخطاب النقدي إلى فكّ شيفرة النص بتحليل ما يحمله من افتراضات، ورسائل، وميول، والتعرف إلى علاقات القوة التي تكمن وراء النصوص والرموز والخطابات، ووضعها في سياقها التاريخي والاجتماعي، حيث إن الخطاب أكبر من النص، وأشمل من الأيديولوجيا[2]. واستخدم الباحث برنامج التحليل النوعي إنفيفو 10 (NVivo10) من أجل تسهيل التحليل

النقدي للخطاب، وهو برنامج متخصص في عملية التحليل النوعي للمحتوى والنصوص في مجالات العلوم الإنسانية والاتصال والإعلام بشكل خاص، كما يساعد الباحث في عملية الترميز للبيانات (Coding)، وتصنيف البيانات إلى مجموعات وعناوين (Nodes) رئيسة وفرعية.[3]

في إطار ما سبق، فإن هذه الدراسة تحاول الإجابة عن الأسئلة البحثية الرئيسة من خلال تحليل خطابات البيت الأبيض الرسمية المنشورة على موقعه الإلكتروني [4] حول صفقة السلام أو "صفقة القرن"، التي بلغ عددها 23 مادة إعلامية خلال الفترة الواقعة بين 2017 وحتى آب/ أغسطس 2018، ويكمن إيجاز أسئلة الدراسة فيما يأتي:

1. كيف استخدم الخطاب الأمريكي الرسمي منهج هندسة الجمهور في تعامله الإعلامي مع "صفقة القرن"؟

2. ما الصورُ التي صدّرها البيت الأبيض إلى وسائل الإعلام حول مصطلح الصفقة بالاعتماد على مبدأ التدفق الإعلامي؟

## مصطلح "صفقة القرن"

بعد تولي دونالد ترامب مقاليد الرئاسة الأمريكية، أعلن عن عزمه التوصّل إلى صفقة نهائية للصراع المزمن في الشرق الأوسط، خاصًّا بالذكر الصراع العربي-الإسرائيلي. واعدًا بأن يحقّق ما أخفق فيه سابقوه من الرؤساء الأمريكيين، وكلّف صهره "جاريد كوشنر" القيام بهذه المهمّة. وفي إبريل من عام 2017 التقى الرئيس الأمريكي دونالد ترامب بالرئيس المصري عبد الفتاح

**بات مصطلح "صفقة القرن" الأكثر استخدامًا وانتشارًا لوصف الجهود الأمريكية في التوصّل إلى اتفاق سلام بوصفه حلًا للصراع الفلسطيني-الإسرائيلي خلال العامين الماضيين وانتشر المصطلح في وسائل الإعلام المحلية والدولية**

السيسي، وتحدّث السيسي فيه تحديدًا عن دعم جهود ترامب في التوصّل إلى ما وصفه للمرة الأولى بـ"صفقة القرن" التي ستحلّ مشكلة القرن في دلالة على الصراع العربي الإسرائيلي[5]. وفيما بعد انتشر هذا المصطلح بشكل واسع جدًّا، وأطلق على هذه الصفقة أسماء مختلفة من المؤيدين والمعارضين لها، مثل: "صفقة الحل النهائي"، و"صفقة القرن"، و"صفقة ترامب"، و"صفقة الصفقات"، و"الصفقة الإقليمية الكبرى"، و"صفعة القرن"، و"مؤامرة القرن". وأعلنت الإدارة الأمريكية عدة مرات أنها ستطرح هذه الصفقة، وحدّدت مواعيد لذلك مثل خريف (2017) وشتاء وربيع 2018، إلا أن الصفقة لم تُطرَح بشكل رسميّ حتى نهاية أكتوبر 2018.[6]

دخل مصطلح الصفقة إلى نطاق وسائل الإعلام وشغل مضمونه ودلالاته وأبعاده الرأي العام العربي والفلسطيني تحديدًا، وتنوعت ردود الفعل الرسمية والشعبية المحلية والدولية عليه، ودائمًا كان هنالك من يزوّد وسائل الإعلام بمواد وبيانات صحفية من مسؤولين أو مصادر لوكالات عالمية ومحلية تذكر المصطلح وتستخدمه بشكل متكرّر، وكان واضحًا أن اللقاءات الرسمية للقيادة الفلسطينية والرؤساء العرب مع الرئيس ترامب يدور فيها الحديث عن صفقة تُطلَق عليها أوصاف إيجابية من دون الحديث في التفصيلات في حال كانوا على علم بها. لكن يبدو أن الصفقة لم تكن مكتملة للبدء بتنفيذها، حيث كان يُعدَّل عليها بشكل مستمر، ولاسيّما بعد ما ظهر لاحقًا الرفض الفلسطيني لها، والذي ظهر جليًّا بعد القرار الأميركي بنقل السفارة الأمريكية إلى القدس، على أنها عاصمة لدولة الاحتلال الإسرائيلي، القرار الذي رفضته 14 دولة من أصل 15 في مجلس الأمن، فضلًا عن انعقاد القمة العربية، والقمّة الإسلامية مرتين، لتأكيد رفضه، إضافة إلى رفضه من قِبَل 128 دولة في الجمعية العامة للأمم المتحدة، وتأييد 9 دول فقط له، من ضمنها "إسرائيل" والولايات المتحدة ودول أخرى صغيرة الحجم والأهمية[7].

خلال عامَي 2017-2018 بدأت ملامح ما بات يعرف بـ"صفقة القرن" بالتشكل من خلال التسريبات الإعلامية -المقصودة وغير المقصودة- التي نشرت جزءًا مهمًّا منها مواقع إسرائيلية، ويمكن تلخيصها بقيام دولة فلسطينية ذات سيادة محدودة على نصف مساحة الضفة الغربية وكل قطاع غزة، واحتفاظ "إسرائيل" بالمسؤولية الأمنية على معظم الضفة الغربية ومعابر الحدود، وبقاء وادي الأردن تحت السيادة والسيطرة العسكرية الإسرائيلية[8]. كما تتشارك فلسطين والأردن السلطة الدينية على الأماكن المقدسة في مدينة القدس. إضافة إلى الاعتراف بـ"إسرائيل" بوصفها وطنًا للشعب اليهودي، وبفلسطين بسيادة محدودة بوصفها وطنًا للفلسطينيين. وضم الأحياء العربية في القدس الشرقية إلى الدولة الفلسطينية، باستثناء البلدة القديمة، التي ستكون جزءًا من "القدس الإسرائيلية"، و"أبو ديس" العاصمة المقترحة

للدولـة الفلسـطينية. وأيضًا دمـج غزة في الدولة الفلسـطينية الجديدة بـشرط موافقة "حماس" عـلى نـزع السـلاح. والملاحظُ عـدم تطـرق الخطة إلى اللاجئـين الفلسـطينيين، مع إنشـاء آلية تعويـض وإدارة للاجئـين من قبـل المجتمع الدولي. وتجاهلـت الخطة أيضًا قضية "الاسـتعمار الاستيطاني"؛ وقد يُفهم من هذا التجاهل أن المستوطنات ستُضَمّ ضمنًا بما فيها البؤر العشوائية إلى "إسرائيل"

من جهة أخرى، سعت أمريكا إلى الضغط على الفلسطينيين للقبول بـ"صفقة القرن" عمليًّا، وتقبُّلهـا بوصفها أمرًا واقعًا بعد محاولات الترويج الإعلامي لها، وبدا ذلك واضحًا من خلال التفـرد الأمريكـي في اتخاذ قرار نقل السـفارة الأمريكية، والذي ترافق معـه اتخاذ إدارة ترامب قرارات عدة تصبّ في ذات الاتجاه[7]. وشـملت هـذه القرارات: إغلاق مكتب منظمة التحرير بواشـنطن، وتجديد إغلاقه في شـهر أيلـول 2018، وتأكيـد تصنيف منظمـة التحرير "منظمة إرهابيـة"، وقطـع المسـاعدات عن الشـعب الفلسـطيني التـي تتعلق بخصم قيمـة مخصصات الأسرى والشـهداء والجرحـى من المعونات المقدمة للفلسـطينيين إضافـة إلى العمل على تمرير قانـون يجـرم مقاطعة "إسرائيل"، وقانون محاسـبة الفلسـطينيين، الذي فتح البـاب على تشريع سلسـلة من العقوبات على الفلسـطينيين والمنظومة الدولية، وقرارات أخرى مثل قرار ترامب بقطع جميع المساعدات عن الفلسطينيين ما لم يقبلوا العودة إلى المفاوضات بالشروط الأميركية[8]، وتقليص المساعدات عن وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى (الأونروا)، [9] والسعي لإلغائها وتغيير صفة اللاجئ، وذلك قبل صدور قرارها بوقف كل التمويـل الـذي كانـت تقدمه لوكالة الأونروا في نهايـة آب 2018 [10]. ومؤخرًا صدر قرار الرئيـس الأمريكي بوقف دعم قيمته 25 مليون دولار، كان من المخطط دفعه مسـبقًا لمصلحة شبكة مستشفيات شرقي القدسً[11].

## هندسة الجمهور والتدفق الإعلامي لصفقة السلام

تسـتخدم هذه الدراسة نظرية هندسـة الجمهور (The Engineering of Consent) لرائدها النمسـاوي إدوارد بيرنيـز (Edward Bernays) الذي وصل إلى الولايات المتحدة الأمريكيـة مهاجـرًا بعد أن تشرَّب أفـكار خاله، عالم النفس سـيغموند فرويـد (Sigmund Freud)، مع ظهور مدارس ونظريات الدعاية السياسية قبل الحرب العالمية الثانية وبعدها، حيث نشر أول مقالة علمية له عن هندسة الجمهور عام 1947 [12]. ويُعَدّ بيرنيز أيضًا رائد علم العلاقات العامة بعد نجاحاته في حملات العلاقات العامة السياسية منها والتجارية، والتي تُعَدّ أشـهرها حملة "مشـاعل الحرية" التي ربط فيها بين تدخين السـجائر والعقل اللاواعي للمرأة بأنها تشـكل بالنسـبة لها القـوة والحرية في عشرينيـات القرن الماضي، ونجحت حملة "مشـاعل الحرية" برفع مبيعات السـجائر، وهي الغاية التي كان ينشـدها رئيس الشركة الأمريكية للتبغ جورج واشنطن هيل[13].

يقوم مفهوم هندسة الجمهور على القدرة على برمجة الجمهور وبناء خطاب إعلامي بشكل برمجي دقيق، من خلال مخاطبة الحاجات والغرائز اللاعقلانية واللاواعية، بما يتفق مع مصالح النخب الأقوى في المجتمع والأكثر سيطرة، وهي في العادة الجهة المرسلة. وقد استخدم في سبيل ذلك الدعاية السياسية (البروبوغاندا)، وحملات العلاقات العامة، والتدفق الإعلامي، وغيرها من الإستراتيجيات والوسائل الإعلامية التي تؤثر في قرارات الجمهور وتوجهاته بوصفها فروعًا وأدوات لهندسة الجمهور. ومن تعريفات هندسة الجمهور، بأنها الممارسة المتقدمة للاتصال السياسي، ويرى بينيت أن هندسة الجمهور هي قصف جمهور محدد برسائل إستراتيجية لتضليلهم، وتخويفهم، وتثبيطهم، والتلاعب بالمعلومات التي تصلهم للتأثير فيهم تجاه قضايا محددة، كما أن وظيفة هندسة الجمهور هي العمل وسيطًا بين النخب والحكام وبين الجمهور [14 15].

وتستخدم الحكومات والدول هندسة الجمهور للتأثير في قرارات جمهورها المستهدف تجاه قضايا محددة، وتُعَدّ فكرة صناعة الرأي العام التي تحدث عنها وولتر ليبمان عام 1922 إحدى وسائل هندسة الجمهور، الذي تُفترَض فيها قدرة النخب على تشكيل الرأي العام للجمهور المحكوم والهيمنة عليهم من دون استخدام القوة، من خلال إقناع قادة الرأي العام والنخب بآراء معينة، وأحيانا تستخدم الحكومات منهج هندسة الجمهور بطريقة دياغوجية لأهداف غير ديمقراطية؛ للتحكم بالجمهور المستهدف لتحقيق أهدافها السياسية ويكون ذلك باستخدام أدوات التأثير النفسي والعقل اللاواعي، ولخّص بيرنيز هذا المنهج في أمرين: أوّلهما تأكيد موقف الرأي العام الموالي بالدرجة الأولى، وثانيهما إقناع الرأي العام غير الموالي، والحصول على الدعم منهم، وثالثهما إسكات الأصوات الناقدة [12].

ويمكن تعريف هندسة الجمهور بحسب مجمل الدراسات التي بحثت هذه النظرية وناقشتها بأنها عملية التأثير في اللاوعي، وحاجات الجمهور وغرائزه، والرأي العام المستهدف من خلال دراسة تقسيماته كافة، أو إعادة تشكيل هذه الحاجات والغرائز من خلال منهج هندسي قائم على دراسة جوانب العملية الاتصالية كافة، وفهمها، والتخطيط باستخدام الوسائل النفسية والاجتماعية والسياسية، وتقنيات الإقناع والبروباغاندا والعلاقات العامة، من أجل تحقيق أهداف ومصالح محددة. كما أن هندسة الجمهور تُعَدّ جوهر المجتمعات والدول الديمقراطية، أو التي شهدت وتشهد تحوّلًا ديمقراطيًّا حديثًا، وقد نشأ المصطلح، وكان أغلب تطبيقاته في الولايات المتحدة الأمريكية التي بدأت مطلع القرن العشرين بإشراف بيرنيز نفسه.

## التدفق الإعلامي لصفقة القرن

إن التعامل مع بيانات البيت الأبيض إعلاميًّا يعني التعامل في الأساس مع بيانات علاقات عامة تصدر عن مؤسسة سياسية تستخدم منهج هندسة الجمهور لإيصال الرسائل والصور الذهنية، والتأثير في الجمهور بما يخدم مصالحها، ويستعين البيت الأبيض في سبيل ذلك

بأساليب الدعاية السياسية والتدفق الإعلامي بوصفها وسيلة من وسائل هندسة الجمهور تجاه القضايا التي تطرحها. لكن في سياق هذه الدراسة من المهم الحديث عن مفهوم التدفق الإعلامي، وكيف استخدم البيت الأبيض ذلك مصدرَ قوة وانطلاق في خطابه تجاه العالم وقضية فلسطين تحديدًا. وقد ظهر هذا المصطلح "Information of Flow Free" بداية في الولايات المتحدة الأمريكية في أربعينيات القرن الماضي.[17] ويعرّف تقرير اللجنة العربية لدراسة قضايا الإعلام والاتصال في البلدان العربية التدفق الإعلامي بأنه تدفق المنتجات الإعلامية والمعلومات التي تعتمد عليها وسائل الاتصال الجماهيري، ويدخل في هذا النطاق، الخبر والتعليق والصورة والبرنامج الإذاعي والبرنامج التلفازي، والفيلم السينمائي والمعلومات والبيانات الصحفية. وقد استخدمت هذه الدول مبدأ التدفق أداةً اقتصادية وأيديولوجية للسيطرة على شعوب الدول النامية[18].

**إن التعامل مع بيانات البيت الأبيض إعلاميًا يعني التعامل في الأساس مع بيانات علاقات عامة تصدر عن مؤسسة سياسية تستخدم منهج هندسة الجمهور لإيصال الرسائل والصور الذهنية والتأثير في الجمهور بما يخدم مصالحها**

يقوم التدفق الإعلامي في كثير من الأحيان وبخاصة في دول العالم الثالث على استخدام الإعلام ضد الجمهور عن طريق التحكم بمضمونه من خلال الحكومات والدول والقوى السياسية العظمى وملّاك وسائل الإعلام، وغالبًا ما تستخدمه وسائل الإعلام في الدول المتقدمة تجاه دول العالم الثالث تحديدًا، من خلال التلاعب بتدفق المعلومات والأخبار والبيانات السياسية عبر وكالات الأنباء وشبكات الإنترنت والسوشيال ميديا، وذلك باسم التدفق الحر للإعلام بوصفه نوعًا جديدًا من السيطرة والهيمنة لهذه الدول على الدول النامية "السيطرة الإعلامية والثقافية"، ويؤدي تدفق المعلومات باتجاه واحد وخصوصًا إذا كان مرتبطًا بدولة صغيرة وبقضية سياسية كالقضية الفلسطينية- إلى عدم التوازن في تدفق الأخبار، وهيمنة معلوماتية، في الوقت ذاته، فإن الوكالات العالمية المسؤولة عن 80٪ من المعلومات التي تنشر في العالم تَتْبَع دولًا قوية من العالم الأول كأمريكا، وفرنسا، وبريطانيا، وألمانيا، وروسيا، وغيرها، ومن ثَمّ فإن حجم ما توزعه هذه الوكالات يوميًّا من معلومات وأخبار على العالم هو 41 مليون كلمة منها 34 مليون من وكالات أمريكية، وهو ما يؤكد السيطرة الأمريكية على الأخبار والمعلومات. ولهذا آثار كبيرة في حضور مثل هذه الدول في الوعي العالمي؛ لأن هذه الوكالات مرهونة لمصالح دولها بالدرجة الأولى، كما أنها قد تركز على الأخبار السلبية التي تسهم في تشكيل صورة ذهنية عن دولة أو قضية ما على عكس الواقع، والتحيز الواضح تجاه الغرب وأمريكا و"إسرائيل"، وهو ما يؤدي إلى عدم توازن في التدفق الإعلامي والوعي العالمي.

**يُعـرّف تقريـر اللجنة العربيـة لدراسة قضايـا الإعلام والاتصال في البلدان العربية التدفق الإعلامي بأنه تدفق المنتجـات الإعلاميـة والمعلومـات التي تعتمـد عليها وسائل الاتصال الجماهيري ويدخل في هذا النطاق الخبر والتعليق والصورة والبرنامج الإذاعي والبرنامج التلفازي والفيلم السينمائي والمعلومات والبيانات الصحفية**

إن البيانات الصحفية التي تصدر عن إدارات القوى السياسـية الكبرى تكتسـب قوتها الإعلاميـة من قوتها السياسـية، وتدخل بياناتها في عمليـة اختيار المعلومات وانتقائهـا، وتسـمح للمعلومـات المنتقـاة بالمـرور عبر بوابـات الإعـلام الـدولي، وفي الوقـت نفسـه يشـكل مجاعـة معلوماتيـة؛ إذ إن مـا ينـشر في وكالات الأنبـاء الدوليـة ووسـائل الاتصال مـا هو إلا صـورة مختصرة ومسـلية، لا توفر معرفة حقيقية للناس تسـاعدهم على اتخـاذ قرارات مـن حجب وإبراز ، وتسـطيح وتعميق. فغالبًا الذي يتناسب مع البيت الأبيض وسياسته يمر عبر بوابات الإعلام والوكالات الدولية والأمريكيـة عـلى الأقل، ومثال ذلك تغطيتها للحرب على العـراق، حيث ضلّلت الرأي العام الدولي والمحلي في الولايات المتحدة، عندما بثّت الإشاعات والمعلومات المغلوطة عن الترسانة العراقية وسلاحها النووي.

إن نقـص المعلومات عـن مواقف الأطراف الأخرى في الصراعات الدولية يؤدي إلى خلق صورة مشوّهة لدى الجماهير، وتضليلهم، ودفعهم إلى اتخاذ مواقف تريدها القوة المسيطرة على النظام الإعلامي الدولي.[19]

ومن الأمثلة التي شـهدها العقدان الأخيران في مسألة هندسة الجمهور من خلال أسلوب التدفق الإعلامي شماعة "الحرب على الإرهاب" التي أطلقتها إدارة بوش بعد هجمات الحادي عـشر مـن سـبتمبر 2001، والتي تحولـت إلى مفهـوم إعلامي فضفـاض يسـوّغ كل الأعمال الاستعمارية الأمريكية في العالم، وأصبح الحديث عن "الإرهاب" يتبوَّأ المكانة الأولى عالميًّا، بعد أن تدفق بداية من أمريكا وقوتها السياسـية[20]. وفي ذات السـياق ظهـر أيضًا مصطلح "الشرق الأوسـط الجديد" بعد الهجوم الإسرائيلي على لبنان في حرب 2006. وهو المشروع الأمريكي في المنطقـة المعروفـة بالشرق الأوسـط للسـيطرة عـلى النفط العالمـي، ووضع جملـة مخططات عسـكرية وسياسـية واقتصادية لأجل تقسيم العالم العربي والإسلامي إلى دويلات إثنية ودينية مختلفة، حتى يسـهل التحكم فيه، ولفرض هوية جديدة على المنطقة بدلًا عن الهوية العربية من أجل استيعاب "إسرائيل" فيها [21][22].

هـذا التدفق غـير المتحكَّم به بالنسـبة لـدول العالم الثالث وفلسـطين يسـاعد على اختراق المجتمعـات العربيـة والنامية سياسـيًّا، والوصـول إليها بهدف نقل قيم سياسـية وتكريسـها، وتشـكيل صـورة ذهنيـة معينة للجمهـور لقبولها والتسـليم بهـا ويُعَدّ هـذا الاحتـكار للأنباء والمعلومـات نابعًا من النزعة الاسـتعمارية للقوى العظمى، فمن يملك القوة السياسـية يملك المعلومـة والإعـلام. لذلك فإن ما يصـل إلى الوعي العالمي في غالب الأحيان هو ما تسـمح به هذ الدول والوكالات بأن يمر عبرها.[23] وباختصار فإن الوضع الدولي الحالي في مجال الإعلام

والاتصال مبني على سيطرة القوى العظمى، حيث تتمركز منابع المعلومات في مراكز إعلامية محددة، تُسهّل على الدول العظمى نشر أي معلومة تريد ، فتخلق التضليل الإعلامي والذي عملت على تغطيته بمسمّى التدفق الحر للأنباء والمعلومات، وأصبح من الصعب على الدول النامية مواجهة هذا الاحتكار والتضليل الإعلامي، الذي زادت شدته مع تطور وسائل الاتصال في عصر العولمة.

## تحليل خطابات البيت الأبيض

يسعى الباحث في هذا القسم إلى الإجابة على تساؤلات الدراسة المطروحة، من خلال التحليل النقدي لبيانات البيت الأبيض المتعلقة بـ"صفقة القرن" باستخدام برنامج NVivo 10، ويمكن سرد أبرز نتائج التحليل في الآتي:

### المصطلحات الأكثر استخدامًا وتكرارًا في عينة الدراسة

تُعَدّ سحابة المصطلحات (Word Cloud) الظاهرة في الشكل 1 من التقنيات البحثية المهمّة للتعرف إلى أكثر المصطلحات تكرارًا في نصوص الدراسة بطريقة آلية من خلال استخدام برامج التحليل النوعي، ويشير الشكل إلى أن الكلمات الأكبر حجمًا هي الكلمات الأكثر تكرارًا في نصوص التحليل. ويظهر بشكل جلي أن كلمة "إسرائيل" هي المصطلح الأكثر استخدامًا وتكرارًا في البيانات الصحفية التي نشرها البيت الأبيض على موقعه الإلكتروني والمتعلقة بـ"صفقة القرن"، ويدلّل ذلك على اهتمام الخطاب والرؤية الأمريكية بـ"إسرائيل" ومصالحها، واعتبارها العامل الأهمّ الذي تتمحور حوله "صفقة القرن". إضافة إلى ذلك، فإن هذا يعكس الموقف الأمريكي أولًا المتعلق بـ"صفقة القرن" و"إسرائيل"، ويؤثر في المتلقّين في ترسيخ دور "إسرائيل" وأهميتها وصورتها بحسب رؤية الولايات المتحدة، من خلال التكرار والتدفق الإعلامي للرؤية الأمريكية في وسائل الإعلام، وهذا يجعلها تصبح جزءًا من العقل اللاواعي للجمهور المتلقي بأطيافه.

المصطلحات الأخرى التي تكررت في الحديث عن "صفقة القرن" تشير إلى البيئة الجغرافية والسياسية المحيطة بالقضية الفلسطينية وإلى العناصر الرئيسة للصفقة، ومن أبرز هذه المصطلحات (ترامب، القدس، السلام، الفلسطينيون، عاصمة، السفارة، اليهود، صفقة) وغيرها. وتشير هذه المصطلحات بشكل أو بآخر إلى أن "صفقة القرن" تشمل كل هذه المكونات أو العناصر. وتجدر الإشارة إلى أن مصطلح "صفقة القرن" لم يُذكَر بذات الوضوح، بل ذُكِر باسم "صفقة"، إلا على لسان رؤساء عرب، ومن هم خارج الإدارة الأمريكية، واستُخدِم للإشارة إلى عملية سلام أو اتفاق سلام، وقد يعود ذلك إلى عدم الرغبة الأمريكية بالمواجهة والتصارح في مواقفها بعد ردة فعل العالم تجاه قرار نقل السفارة الأمريكية إلى القدس. والمصطلح نفسه "صفقة" يحمل مدلولات مهمّة، حيث يعود إلى الصفقات التجارية بين الشركات ورجال الأعمال، والقائمة على المرابح المادية والمصالح الشخصية، وهو على ما

يبدو ما تحاول الإدارة الأمريكية تحقيقه مع حلفائها فيما يتعلق بـ"صفقة القرن". ويمكننا الجزم بأن التدفق الإعلامي لصفقة القرن لم يكن مصدره البيانات الرسمية للبيت الأبيض بشكل أساسي، وإنما حصل هذا التدفق من خلال مسؤولين أمريكيين ولقاءات مع قيادات فلسطينية وعربية، وتسريبات مقصودة لمصادر إسرائيلية. وهذا يظهر أن هنالك تحكماً عاليًا في بيانات الإدارة الأمريكية حول صفقة القرن، بإضفاء الغموض عليها، وعدم الكشف عن تفصيلاتها بشكل رسمي، في حين ترى قيادات سياسية ومحلّلون أن ما يحدث اليوم هو تطبيق فعلي لها من طرف واحد[24].

الشكل 1: المصطلحات الأكثر استخدامًا وتكرارًا في بيانات البيت الأبيض المتعلقة بـ"صفقة القرن"

المصدر: أعدّه الباحث باستخدام برنامج (NVivo 10)

## عناصر الصفقة وأطرافها

يمثّل الشكل 2 نموذجًا للعناصر الرئيسة المكوّنة لتعريف "صفقة القرن" التي يحاول الخطاب الرسمي للبيت الأبيض تشكيلها لدى الجمهور، وقد أُعِدّ هذا النموذج بالاعتماد على الكلمات الأكثر تكرارًا في بيانات البيت الأبيض، وبالاعتماد على تصنيف وتجزئة القضايا التي كانت هذه البيانات تناقشها من خلال عملية الترميز لمضمون النصوص باستخدام برنامج (NVivo 10). تحاول الدراسة التطرق إلى كل عنصر لمعرفة الدلائل والسياقات والأهداف والصور الذهنية التي يحاول الخطاب الرسمي الأمريكي تشكيلها.

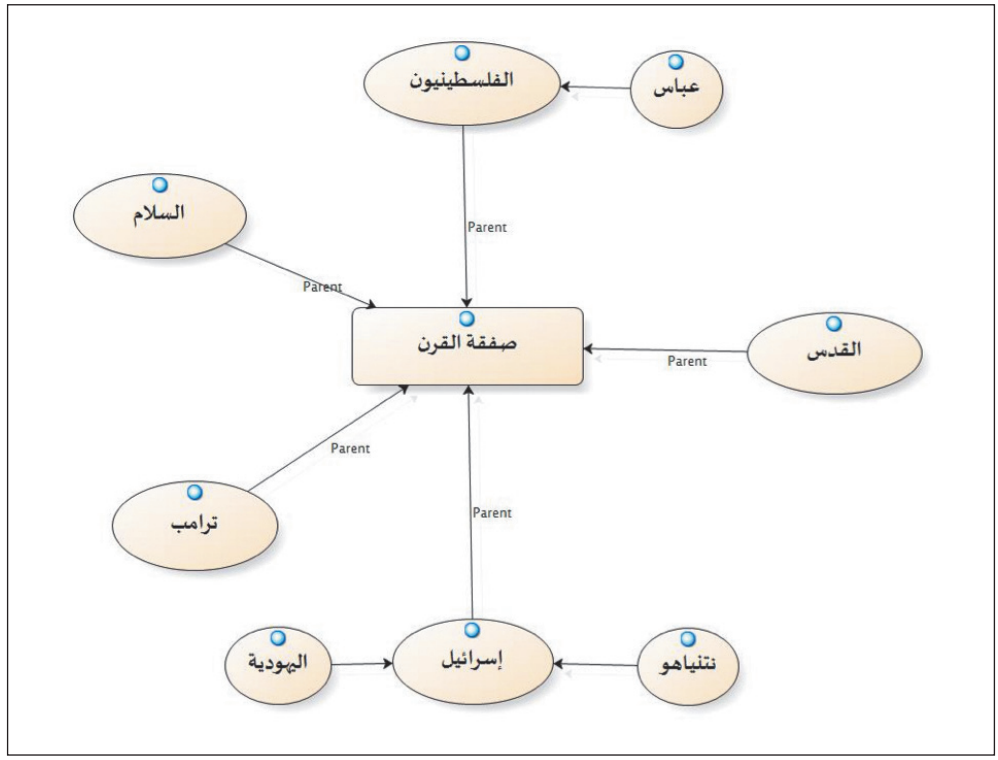


الشكل 2: عناصر تعريف مصطلح "صفقة القرن" بحسب بيانات البيت الأبيض المتعلقة بـ"صفقة القرن"
المصدر: أنتجه الباحث باستخدام برنامج (NVivo 10).

## "إسرائيل" أهم مكوّنات الصفقة

ركز الخطاب الرسمي الأمريكي كما يظهر في الشكل 3 على استخدام كلمة "إسرائيل" أكثر من كلمة "الإسرائيليون" خلال تصريحات ترامب ومحاضر اجتماعاته المتعلقة بالصفقة، في دلالة على أن "إسرائيل" دولة مستقلة، وكاملة السيادة، وكيان قائم ومعترف به. في حين لم تُذكَر "فلسطين"، وإنما اكتُفِيَ بالإشارة إلى "الفلسطينيون" من دون ذكر اسم الدولة، لنفي فكرة الاعتراف بالدولة الفلسطينية أو استقلاليتها. من جهة أخرى، كانت دلالات السياقات بأن "إسرائيل" من حقها أن تعيش بسلام، وبعلاقات طبيعية مع العالم، وبخاصة مع الدول العربية والإسلامية المحيطة بها، وأهمية التطبيع العربي معها. إضافة إلى التصريح بشكل جلي بأن الدول العربية قبلت بـ"صفقة القرن"، والتي تُعَدّ "إسرائيل" محورها، بل إن "إسرائيل" اليوم باتت حليفًا للدول العربية لا عدوًا كما في السابق.

حاول الخطاب الأمريكي مع انحياز تأكيد المزاعم الإسرائيلية، وترسيخ وجودها، وأحقيتها فيها، وأشارت السياقات إلى التركيز الأمريكي على الاعتراف بالقدس بوصفها

عاصمة لدولة "إسرائيل"، وبيهودية دولة الاحتلال"The Jewish State "، منكرًا بذلك الوجود العربي فيها، وبأن "إسرائيل" دولة ديمقراطية لديها سيادة وأحقية في تحديد عاصمتها كما تشاء، كما أنه لا يمكن تنفيذ الصفقة إذا لم تقبل "إسرائيل" بها بحسب ما يلبّي طموحاتها. وفي السياق ذاته، يحاول الخطاب الأمريكي التأكيد والإشادة بصمود ما وصفه بـ"الشعب الإسرائيلي" "people of Israel"، وسعيه إلى الحصول على حريته، والحرص على استخدام هذا المصطلح، إضافة إلى إيمان الإدارة الأمريكية بالعمق التاريخي والديني والروحي في الوجود اليهودي في ما وصفها بـ"أرض الميعاد"، وأنهم حاربوا وصبروا وتحمّلوا كل الشدائد من أجل الوصول إلى ما وصلوا إليه اليوم. هذا الخطاب يحاول أن يفرض على الجمهور المتلقّي التسليم بالحق الإسرائيلي في أرض فلسطين، كما أن الربط بين المفاهيم الدينية كـ"اليهودية" و"الحق الديني" و"أرض الميعاد" هي كلها تهدف إلى محاولة ربط الحق الإسرائيلي في فلسطين بالعقل اللاواعي للجمهور باستخدام المؤثرات الدينية التي تحفزه لتقبل ذلك لا إراديًّا.

**إن نقص المعلومات عن مواقف الأطراف الأخرى في الصراعات الدولية يؤدي إلى خلق صورة مشوّهة لدى الجماهير وتضليلهم ودفعهم إلى اتخاذ مواقف تريدها القوة المسيطرة على النظام الإعلامي الدولي**

ركز خطاب البيت الأبيض على إظهار قوة التحالف الأمريكي- الإسرائيلي، بأن أمريكا ستواصل دعم دولة الاحتلال والوقوف معها، وأنها "لن تترك إسرائيل لوحدها"، مشيرًا إلى أن نتنياهو وترامب لديهما "هدف مشترك". وقد ظهر ذلك في تصريحات البيت الأبيض والسياقات الظاهرة في الشكل 3، القائلة بصريح العبارة إن أمريكا لن تضغط على "إسرائيل" من أجل الاستسلام أو التنازل عن عاصمتها التاريخية والدينية القدس. وأشار الخطاب إلى أن أساس هذا التحالف هو "محاربة الإرهاب"، وهو الشماعة لتسويغ تصرفات الولايات المتحدة تجاه دول الشرق الأوسط، والمسوِّغ لاحتلال العراق وأفغانستان. ولكن ربط هذا التحالف بمحاربة الإرهاب -المصطلح الفضفاض- له دلالات عدة في التأثير في الجمهور بالتجريم التلقائي للطرف الذي يقف في معارضة أمريكا وحلفائها ويساند الإرهاب، صارفةً النظر عن تفردها في تعريف الإرهاب وتصنيف الإرهابي عن غيره، وبطبيعة الحال فإن الفلسطينيين ليسوا هم حلفاء أمريكا في المنطقة. ومن جهة أخرى، جاءت سياقات استخدام كلمة "إسرائيل" في الغالب لتمجيد دولة الاحتلال، وللإشادة بازدهارها الاقتصادي والعلمي والتقني في العالم، وأن تنفيذ السلام سيزيد هذا الازدهار، وسيفيد العالم أجمع.

حمل الخطاب الأمريكي الرسمي معانيَ ورسائل كثيرة إضافة إلى ما ذكر، فقد حرص على إبراز أن دولة الاحتلال هي الدولة الحريصة على السلام، وعلى تحسين أوضاع الفلسطينيين. ووردت عبارات من قبيل "إسرائيل بحاجة إلى من يقف معها لا ضدها"، "رمز السلام" الذي يصارع القمع والاستبداد في المنطقة، والدولة التي استطاعت البقاء في وجه الإبادة والمحرقة، وأن "ما يحصل من مقاطعة لإسرائيل هو فعل غير عادل للأسف". كما ضمّت السياقات الكثير من التعبيرات بأن المشروعات المشتركة مع دولة الاحتلال والتسهيلات التي ستقدّمها للفلسطينيين وبخاصة في مجالات المياه والوقود والتجارة والمعابر بموجب "صفقة القرن" تستحق الموافقة والقبول، كما أن الاقتصاد الفلسطيني سينتعش من خلال مجموعات عمل مشتركة، تساعد وتسهّل العمل، ولاسيّما في مجالات الذكاء الاصطناعي والأمن والتقنية والتكنولوجيا.

وحاول الخطاب مرارًا تأكيد أن "إسرائيل" لديها الجدية في تحقيق السلام وأنّها ليست هي المشكلة "Israel is not the problem" وإنما المشكلة لدى الفلسطينيين. فمن الواضح أن الخطاب الأمريكي لا يحمل سوى الإيجابية تجاه دولة الاحتلال، الإيجابية التي تصرّح بها الدولة الأقوى والأهم في العالم هي التي يسهل على الجمهور تقبلها والأخذ بها.

من جهة أخرى، سعى البيت الأبيض إلى تعزيز الرواية الصهيونية القائمة على الاعتراف بيهودية "إسرائيل"، ونشر خطاب نتنياهو حول مطالبته الفلسطينيين بضرورة الاعتراف بيهودية الدولة، ووقف تدريس ما يتعلق بما وصفه "ضرورة تدمير إسرائيل" في المناهج الفلسطينية، بوصفه أحد المحددات الإسرائيلية للقبول بصفقة السلام. كما حرص الخطاب الأمريكي على تذكير العالم بـ"المحرقة"، وأن الشعب اليهودي عانى كثيرًا، ولا بدّ له من الاستقرار بدولته، والحصول على السيادة الكاملة، هذا و"يجب أن يذّكر العالم أن أمن وحرية وسلامة الشعب اليهودي لا تكون إلا بدولة مستقلة كاملة السيادة، قادرة على الدفاع عن نفسها بنفسها". وفي ذات السياق، كرّر ترامب محاولة عكس صورة إيجابية عن "الشعب اليهودي"، والثناء عليه ومدحه، وتعظيم دوره، وعدّه شعبًا يعمل ويتطور ويتقدّم، "شعب حيوي ونشيط حوّل الصحراء إلى حديقة، والمرض إلى صحة، والأمل إلى مستقبل"، شعبًا لم يمر يومًا واحدًا من السلام، ومع ذلك أصبح خلال فترة قصيرة أعجوبة العالم وداعيًا إلى السلام. مع الإشارة إلى أن المقصود باليهود في هذا الخطاب هم "الإسرائيليون" أو الحركة الصهيونية، لا كل يهود العالم أو الديانة اليهودية نفسها، هذه الصورة والرواية التي يعكسهما خطاب البيت الأبيض الرسمي عن اليهود ستتدفقان إلى العالم، وبخاصة أن من يتحدث بها هو الطرف الأقوى في كل المعادلة السياسية.

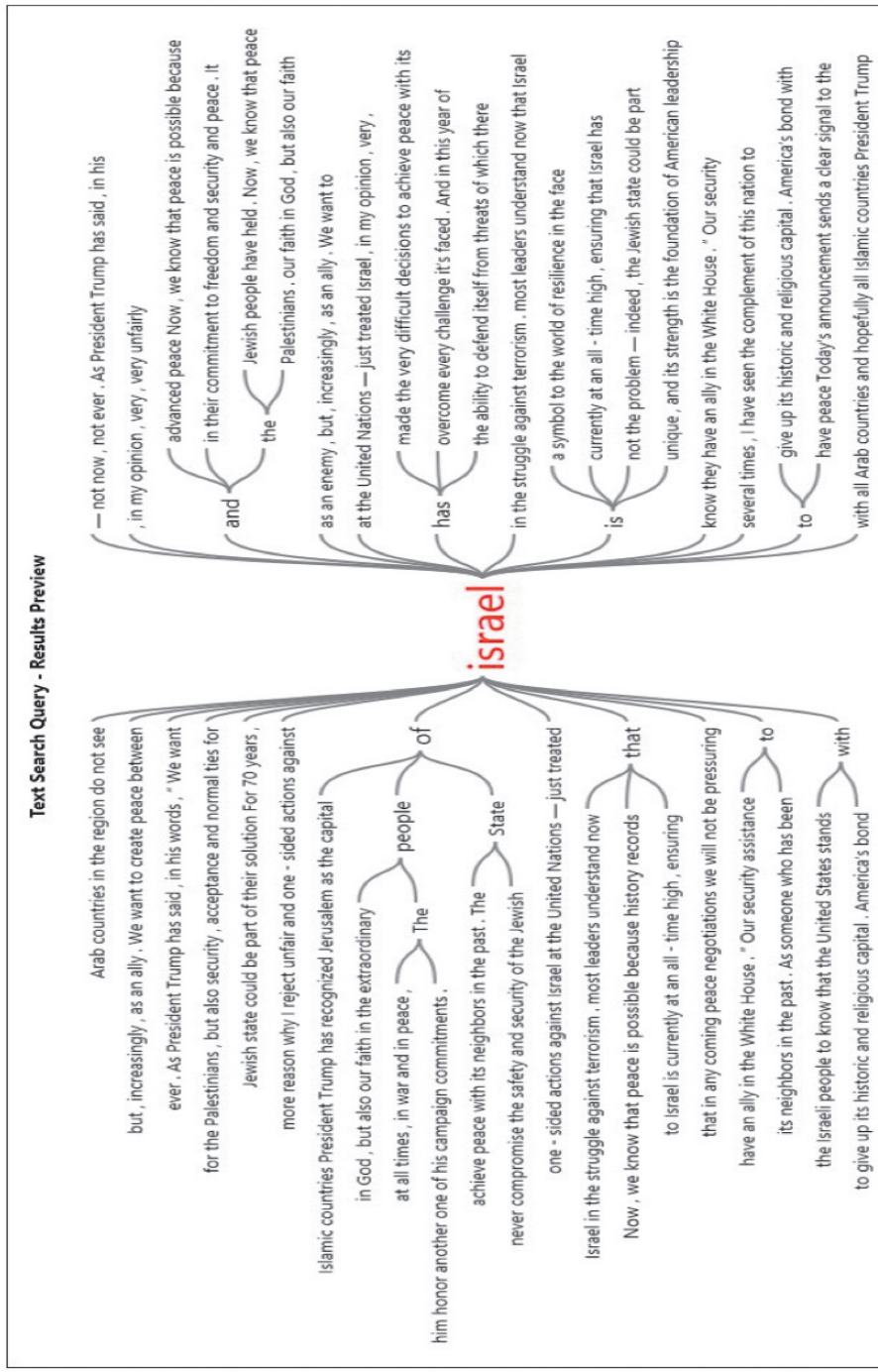


الشكل 3: السياقات التي وردت فيها كلمة "إسرائيل" في نصوص بيانات البيت الأبيض المتعلقة بـ"صفقة القرن".

المصدر: أنتجه الباحث باستخدام برنامج (NVivo 10)

## الفلسطينيون وعباس في خطابات الصفقة

مثّل الفلسطينيون عنصرًا أساسيًّا في بيانات البيت الأبيض المتعلقة بـ"صفقة القرن"، وكما ظهر من خلال التحليل السابق فإن الخطاب الرسمي للولايات المتحدة سعى إلى رسم صورة سلبية عن الفلسطينيين لدى الجمهور، قائمةٍ على الانحياز تجاه "إسرائيل"، حيث اعتمد البيت الأبيض كلمة "الفلسطينيون" ولم تُذكَر "فلسطين" أو دولة فلسطين على لسان ترامب وإدارته، على عكس "إسرائيل" التي ذُكِرت بأنها الدولة الديمقراطية، واليهودية، والمستقلة، والتي من حقّها أن تحدّد عاصمتها وتحافظ على سيادتها. من جهة أخرى كانت الدلالات واضحة بأن الطرف الفلسطيني هو الطرف الذي يمثّل "الإرهاب"، وأنه المسبّب الحقيقيّ لتعثّر عملية السلام، إضافة إلى استخدام أسلوب التهديد عند الحديث عنهم، وأن عليهم العودة إلى طاولة المفاوضات بأي ثمن، وإلا لن يكون هنالك سلام، وإن لم يقبلوا بالصفقة فإن المساعدات المالية ستتوقف عنهم. وفي ذات السياق، نشر البيت الأبيض حديث نتنياهو مهاجمًا الفلسطينيين بأنهم ينكرون التاريخ، ويحاولون تسميم الحاضر، وأن السلطة الفلسطينية تدعم "الإرهاب"، وما أسماهم بـ"القتلة" وعائلاتهم، وتعطيهم رواتب شهرية في دلالة على الأسرى الفلسطينيين. كما حاول الخطاب تصوير الفلسطينيين على أنهم أشد حالاتهم احتياجًا إلى مساعدة "إسرائيل" والولايات المتحدة، من أجل تحقيق الازدهار والتطوير الاقتصادي والتجاري والعلمي كما هو في "إسرائيل".

أما حول صورة الرئيس عباس نفسه في الخطاب الأمريكي، فقد استشهد البيت الأبيض بنشر حديثه الإيجابي حول "صفقة القرن"، وتعبيره عن ثقته في الرئيس ترامب، بأنه سيعمل على تحقيق اتّفاق سلام عادل. وكان واضحًا أن عباس لا يعلم أيّ تفصيلات عن "صفقة القرن" في بداية الأمر، على عكس نتنياهو، حيث إن ترامب نفسه فيما بعد عبّر عن أسفه بإدانة الفلسطينيين للصفقة من دون أن يطلعوا عليها. كما أن حضور شخص عباس كان بشكل عام أقلّ من حضور بنيامين نتنياهو، ولم يحظَ بحجم الثناء والتمجيد الذي ناله نتنياهو من ترامب في أكثر من مناسبة. إضافة إلى وصف البيت الأبيض عباس برئيس السلطة الفلسطينية، لا برئيس "دولة فلسطين"، وهو ما يعكس حقيقة الدور الأمريكي، وانحيازه إلى طرف على حساب الآخر.

## الصفقة في الخطاب الأمريكي

يعبّر هذا الجزء عمّا يمكن وصفه بالرؤية الأمريكية المتعلقة بـ"صفقة القرن"، أو اتفاق السلام المنشود بحسب ما ورد في خطاب البيت الأبيض، إلا أنّه لم ترد تفصيلات رسمية وواضحة حول بنود الصفقة نفسها. ويمكن القول إنّ عملية السلام بين الفلسطينيين والإسرائيليين هي مفتاح إحلال السلام والهدوء في الشرق الأوسط، ومن هنا فمن الأهمية أن يطبق هذا

السلام بحسب الرؤية الأمريكية. مع الإشارة إلى أن هذا هو الهدف الأمريكي الذي يسعى إليه ترامب وإدارته، بل هو جهد دولي بهدف حماية "حياة الأبرياء" في محاولة لـ[أنسنة] عملية السلام، وهو ما يساعد الجمهور على تقبلها، وفي ذات السياق حاول الخطاب إظهار الصفقة بأنها مانحة القيم العليا للمجتمعات الإنسانية، كالكرامة، والإنسانية، والاستقلال، والحرية، والاستقرار، بل إن الاتفاق سيسمح للطرفين العيش والعبادة والنجاح والازدهار في سلام، ومواجهة "الإرهاب ومن يقف ضد حياة الأبرياء". من جهة أخرى ترى الإدارة الأمريكية أن عملية السلام فرصة كبيرة لدحض "الخطر الإيراني" عن الشرق الأوسط، وتطبيع وجود "إسرائيل" مع محيطها العربي.

عند الحديث عن "صفقة القرن" وعملية السلام في بيانات البيت الأبيض تكرّر إطلاق الأوصاف عليها، في محاولة لإعطائها الصفة الإيجابية مثل "إنجاز عظيم للعالم"، وأن الصفقة تمثل "هدفًا نبيلا" و"فرصة مهمّة لتحقيق السلام" وغيرها. إلا أن الخطاب الرسمي اعتمد إستراتيجية الغموض وعدم الكشف عن تفصيلات صفقة السلام وبنودها، بل الاكتفاء بالوصف والتعميم. كما حاول الخطاب أيضًا تغييب الجانب الحقوقي في عملية السلام من خلال استخدام الخطاب العاطفي الإنساني، لأهمية الصفقة، وما ستحققه، ومحاولًا بناء آمال لدى شعوب أطراف الصراع، بأن الصفقة ستكون مناسبة لهم، وبخاصة الشعب الفلسطيني، متناسيًا حقوق الفلسطينين الإنسانية والسياسية والمدنية التي ينتهكها الاحتلال.

حاول الخطاب الأمريكي تجاه صفقة السلام تأكيد أن القدس هي أساس السلام، وأن تعريفها هو "عاصمة إسرائيل"، وعدَّ ذلك شرطًا أساسيًّا من أجل تحقيق السلام بين الفلسطينيين والإسرائيليين. كما أن الخطاب هدف إلى إظهار القبول الفلسطيني والعربي بصفقة سلام يقودها ترامب، وأنهم جاهزون لذلك، وكان ذلك من خلال التركيز على تفاؤل ولي العهد السعودي محمد بن سلمان بالصفقة، ومن خلال لقاء الرئيس الفلسطيني محمود عباس بترامب في البيت الأبيض وإعرابه عن أمله بقدرة ترامب على تحقيق صفقة سلام عادلة بين الفلسطينيين والإسرائيليين [25]. لكن في ذلك الوقت لم تكن ملامح الصفقة متشكلة، ولم يكن الرئيس الفلسطيني نفسه على علم بتفصيلات "صفقة القرن" الأمريكية وأبعادها، حيثُ رفضها بعد ذلك، وبخاصة بعد أن اتّخذ ترامب قرارات مجحفة بحق الفلسطينيين، التي كان أولها قرار نقل السفارة الأمريكية إلى القدس. من جهة أخرى يظهر التناقض بين التصريحات الأمريكية وما يجري على أرض الواقع في محاولة لإجبار الفلسطينيين على القبول بالصفقة، إذ صرّح ترامب بقوله: "على الطرفين أن يقدّما تنازلات صعبة"، لكن يبدو أن الفلسطينيين وحدهم من سيقدّم هذه التنازلات، حيث صرح أيضًا بأنّه لن يساوم أبدًا على أمن "إسرائيل" وسلامها.

## دونالد ترامب والصفقة

حاول ترامب ومن خلال دوره في الخطاب الرسمي للبيت الأبيض بربط مفهوم "صفقة القرن" بشخصه، حيث إن مسمّى اسم "صفقة" ودلالتها نابعان من خلفية ترامب التجارية؛ لكونه رجل أعمال، قبل أن يكون سياسيًّا، كما عكس الخطاب الأمريكي إعطاء ترامب صورة الواثق والقادر الوحيد على صنع السلام، وإعطاء الأمل لشعوب أطراف الصراع، على أنه أحد أساليب إقناع الجمهور بالصفقة، واعتمد أيضًا على استخدام "أنا" و"نحن" في الحديث عن جهوده ودور الولايات المتحدة الأمريكية و"إسرائيل" لإنجاح الصفقة، حيث يَعدّ أنّ موقف دولة الاحتلال يمثّل الرؤية الأمريكية للصفقة. وفي السياق ذاته، تضمّن الخطاب الأمريكي في مجمله أسلوب ترامب من حيث إطلاق الأوصاف العاطفية على الصفقة، ومحاولة (أنسنتها)، وأنها تأتي بهدف القضاء على انتشار الكراهية والعداء، وإظهار ترامب بصورة الرجل الصالح الذي يسعى إلى تحقيق السلام لكل العالم من دون أفضلية دولة على أخرى، وأن الهدف من حلّ الصراع هو إيجاد حلّ للمعاناة والمشكلات الإنسانية. ومن جهة أخرى، كان خطاب ترامب قائمًا على فكرة تمجيد "إسرائيل"، وما أسماه بنضالاتها، وأنها اتّخذت الكثير من القرارات الصعبة من أجل السلام، كما عظّم دور مسؤوليها، وبخاصة نتنياهو وجهوده تجاه تحقيق اتفاق سلام، حيث وصفه ترامب بالصديق الشخصي له قبل أن يدخل ميدان السياسة.

**حاول الخطاب الأمريكي تجاه صفقة السلام تأكيد أن القدس هي أساس السلام وأن تعريفها هو "عاصمة إسرائيل" وعدّ ذلك شرطًا أساسيًّا من أجل تحقيق السلام بين الفلسطينيين والإسرائيليين**

وسعى ترامب بتصدّره دور المسؤول عن "صفقة القرن" إلى سياسة فرض الأمر الواقع على الفلسطينيين والعالَم، وتمثّل ذلك بقوله: "في نهاية الأمر القدس هي عاصمة دولة إسرائيل، وعلى الجميع تخطي ذلك، لأنّ الدولة اليهودية لن تذهب إلى أي مكان، ويتوجب علينا التعامل معها"، والهدف من ذلك إعلاميًّا دفع العالَم إلى تقبّل نقل السفارة والاقتناع بقراراته. عمل ترامب أيضًا على تشديد الضغط على الفلسطينيين، وأنه سيوقف المال والدعم ما لم يقبل الفلسطينيون الصفقة، وكان ظاهرًا انحياز ترامب الشخصي إلى الطرف الإسرائيلي، ومحاولته إقصاء الفلسطينيين، وظهر في قوله إنه يعمل جاهدًا لحّل الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، بهدف إحلال السلام في "إسرائيل" "We want Israel to have peace"، هذا الخطاب من شأنه أن يعبّر عن الرؤية الأمريكية لصفقة القرن، وهو ما ساعد الفلسطينيين لاحقًا على تشكيل صورة ذهنية سلبية عن "صفقة القرن"، على عكس الصورة التي كانت سابقًا لبداية تولّي ترامب مسؤولياته، والتي كان يتطلع إليها الرئيس عباس.

## القدس في خطابات الصفقة

تُعَدّ قضية القدس كبرى قضايا الحل النهائي للصراع الفلسطيني-الإسرائيلي، وهذا هو الأمر الذي جعلها مكونًا أساسيًّا من مكونات تعريف صفقة السلام أو القرن التي تحضّر لها أمريكا، وقد وردت كثيرًا في سياقات بيانات البيت الأبيض عند الحديث عن عملية السلام أو الصفقة كما أشرنا في العناوين السابقة. لكن الرؤية الأمريكية للقدس أصبحت تقريبًا واضحة، من خلال الخطاب الإعلامي الرسمي، ومن خلال القرارات على أرض الواقع، والتي كلها تهدف إلى إقناع العالم بأن القدس يجب أن تكون تحت السيادة الإسرائيلية، وأنها عاصمة معترفٌ بها لدولة الاحتلال. وحاول الخطاب الرسمي الأمريكي تصوير مشكلة القدس على أنّها حُلّت ولم تعد عقبة في وجه السلام، وذلك من خلال الاعتراف بها عاصمة لدولة الاحتلال، وبهذا فهي أصبحت خارج طاولة المفاوضات، كما أن نقل السفارة الأمريكية إليها يهدف بشكل أساسي إلى جعل الأطراف كافة أقرب لتحقيق صفقة السلام. من جهة أخرى حاول البيت الأبيض إبراز خطابات دعم الأقليات ونواب الولايات الأمريكية لقرار ترامب بشأن نقل السفارة إلى القدس، وإبراز حجم التوافق الأمريكي الداخلي على الخطوة ،في محاولة لكسب القبول العالمي للخطوة الأمريكية، وأنّ تدفق هذه الصورة إلى وسائل الإعلام سيعطي انطباعًا بأن ما تجمع عليه أمريكا -لمكانتها السياسية- هو ما سيتحقق، وبأن الجهود الفلسطينية لن تنجح في ثني ترامب عن مخططاته، وعلى الجميع التسليم بذلك.

**سعى ترامب بتصدّره دور المسؤول عن "صفقة القرن" إلى سياسة فرض الأمر الواقع على الفلسطينيين والعالَم وتمثّل ذلك بقوله: القدس هي عاصمة دولة إسرائيل وعلى الجميع تخطي ذلك لأنّ الدولة اليهودية لن تذهب إلى أي مكان**

## الخلاصات والاستنتاجات

توصّلت الدراسة إلى العديد من النتائج التي تجيب بوضوح عن الأسئلة البحثية المطروحة، حيث إنّ الخطاب الأمريكي المتعلق بصفقة السلام أو ما عرفت بـ"صفقة القرن" يهدف إلى هندسة الجماهير المخاطبة والجمهور الفلسطيني باستخدام تقنيات خطابية ووسائل متعددة، منها التدفق الإعلامي، والتأثير في العقل اللاواعي من أجل تشكيل صورة ورأي عام لدى الجمهور بكل أطيافه بحيث تخدم المصالح والرؤى الأمريكية المتعلقة بصفقة السلام في المنطقة، ويمكن إجمال كل ذلك في عدة نقاط، تمثل هذه الصورة التي يعكسها خطاب البيت الأبيض والأساليب المستخدمة في خدمة ذلك، على النحو الآتي:

- أطراف الصفقة ومكوّناتها الفاعلة والرئيسة هي: (إسرائيل، الفلسطينيون، ترامب، السلام، القدس)، وهذه الأطراف شكّلت جوهر الحديث عن صفقة القرن، مع ملاحظة

غيـاب واضـح لأي طرف عربي ودولي آخر ربما قادر على التدخل في الصفقة، وهو ما يزيد قوة الموقف الأمريكي والإسرائيلي، وقوة تأثيرهما الإعلامي المرتبط بقوتهما السياسـية. والأهم هنا هـو أن كلمـة "إسرائيل" هي الأكثر اسـتخدامًا وتكـرارًا، في دلالة واضحة عـلى الانحياز لها، بوصفها دولة مسـتقلة وكاملة السـيادة، وكيانًا قائمًا ومعترفًا به، في حين لم تُذكَر "فلسطين"، بل يُكتَفى بالإشارة إلى "الفلسطينيون".

• أثبتـت الدراسـة أن الخطـاب الأمريكـي الرسـمي بحسـب بيانات البيـت الأبيض لم يسـتعمل مصطلـح "صفقة القـرن"، بل اسـتعمل مصطلح "صفقة سـلام"، لكن المسـؤولين الأمريكيـين اسـتخدموه في مقابلات خاصة معهم خارج البيـت الأبيض، في حين لم يعترضوا عـلى المسـمّى، بل نجحـوا في إعطاء معنـى إيجابي للصفقـة في بدايـة الأمر فلسـطينيًّا. وفي كل الحـالات فـإن الرئيس الفلسـطيني محمود عباس لم يكن على علم بتفصيـلات الصفقة في بداية الحديث عنها، وقبل إعلان ترامب نقل السفارة الأمريكية إلى القدس.

• اعتمد الخطاب الأمريكي على أهم مبادئ هندسة الجمهور، وهو مبدأ التأثير في العقل اللاواعـي للجمهـور المخاطـب، مـن خلال محاولـة ربـط الصفقة بالصـور والقيـم الإيجابية والإنسـانية، وبأنها تمثل (العدل، والعظمة، والتاريخية، والإنجاز، والمستحيل الذي سيتحقق، وحمايـة الأبريـاء، وإنعاش الاقتصـاد، والمفيدة للفلسـطينيين، ومحققـة الاسـتقرار، والمحاربة للإرهـاب، وغيرهـا). إضافـة إلى الحفاظ عـلى إبراز غمـوض تفصيلات الصفقـة، وعمومية الخطـاب، وحجـب تفصيلاتهـا وتعميقها. كذلـك أيضًا اسـتعمل التأثير في العقـل اللاواعي لكسـب تأييـد اليهود وتعاطفهـم عندما كرّر محاولة ربـط ما ترتكبه "إسرائيـل" بأنها نضالات الشـعب اليهـودي، إضافـة إلى تمجيدهـم، و(أنسـنة) قضيتهـم والـصراع، وتأكيـد حقوقهم، وغيرها.

• كما أنّ استخدام مضامين مبطنة في الخطاب الأمريكي له دلالات مهمّة وتأثير في العقل اللاواعـي، منها: ربط الصفقة بقـوة التحالف الأمريكي الإسرائيلي؛ لذلك على الفلسـطينيين القبول بالصفقة؛ لأنه ليس لديهم أيّ بديل آخر، أو القدرة على مواجهة هذا التحالف. وتطبيع العلاقات بين "إسرائيل" ومحيطها العربي وهذا الأمر أحرز تقدّمًا كبيرًا وقبولًا عربيًّا بالصفقة، وهو ما يؤدي إلى عزل الفلسـطينيين وإجبارهم على القبول بالصفقة. وربط الصفقة بشـخص ترامـب وإدارتـه الحالية، وأنّ أيّ ضغط على أطراف أمريكيـة ودولية أخرى لوقف الصفقة أو تعديل مسارها لن ينجح؛ لأن ترامب من يتزعم الموقف بشخصيته المتعنتة.

• اعتمـدت الإدارة الأمريكيـة في نقل صورة الصفقـة على مبدأ التدفق الإعلامي، الذي عززتـه القـوة الأمريكيـة؛ لكونها المصـدر الإعلامي والإخبـاري الأول والوحيـد القادر على الحديث عن الصفقة وما يتعلق بتفصيلاتها، وهو ما سمح بأن تتدفق المعلومات بحسب الرؤية الأمريكيـة إلى جميـع وكالات العـالم وصحفه. ومن ثَمّ توظيف وسـائل الإعـلام لنشر الصور

الذهنية التي تصدرها أمريكا عن منطقة الشرق الأوسط والفلسطينيين و"إسرائيل"، وترسيخ صورة الأخيرة تحديدًا، للتأثير في الجمهور وإقناعهم بتقبل فكرة "صفقة القرن"، والقبول بها، ومع عوامل التكرار والزمن ستنتج قناعات ترسّخ مضمون "صفقة القرن" على أنها الأفضل، ومن يرفضها فهو الرافض للسلام والاستقرار، كما أنها ستصبح جزءًا من العقل اللاواعي للجمهور نفسه، ومعيارًا لتقيم أيّ صفقة سلام مقبلة.

• اعتمد الخطاب الأمريكي الرسميّ إستراتيجية الغموض المتعلق بالصفقة وتفصيلاتها، وتكمن قوة الغموض في المصطلح، والجهل به، وعدم توفر التفصيلات عنه، والتي يمتلكها طرف واحد هو أمريكا، وهذا يسمح بتدفق المعلومات فقط ضمن اتجاه واحد وفي إطار واحد، بحسب ما هو مخطّط له، وأدّى ذلك إلى إثارة وعي الجمهور واهتمامه، وبخاصة العربي، فكلّما قلّت المعلومات كان التلاعب بوعي الجمهور أسهل. ويعود ذلك لعدة أسباب، من أبرزها:

1. "صفقة القرن" شيء أكبر ممّا كُشِفَ حتى الآن.

2. الغموض القائم على تفصيلاتها؛ بسبب الرفض الكبير لها، في محاولة لتنفيذها بأقلّ اعتراض شعبيّ ورسميّ.

3. الغموض يساعد على كسب الوقت؛ لتجهيل العالَم بتفصيلاتها، في حين أن التطبيق العملي لها كان قد بدأ منذ إعلان ترامب القدس عاصمة لدولة الاحتلال الإسرائيلي.

• هدفَ الخطاب الأمريكي الرسمي إلى تعزيز الرواية الصهيونية حول الصراع الفلسطيني- الإسرائيلي، معترفًا بيهودية الدولة والقدس، وهو بذلك ينكر الوجود الفلسطيني كاملًا.

• يظهر من خلال متابعة الخطاب الرسمي الأمريكي أن هناك تضليلًا واختلافًا ما بين الخطاب الرسمي وما يدور على أرض الواقع من إجراءات لفرض صفقة القرن على الفلسطينيين وحدهم، وقد تمثّل ذلك في أشكال التهديد الاقتصادي والسياسي، ففي الوقت الذي يتحدّث فيه ترامب عن ضرورة إيجاد السلام العادل يفرض العقوبات على الفلسطينيين للموافقة على صفقة سلام تهضم حقوقهم.

• الانحياز الأمريكي الواضح إلى "إسرائيل" واليهود، وقد تمثّل ذلك في الصورة الإيجابية التي حاول الخطاب الأمريكي عكسها عنهم أو بعكس صورة سلبية عن الفلسطينيين وتجاهل حقوقهم القانونية والسياسية، وتجاهل الانتهاكات الإسرائيلية على أرض الواقع، ونقض "إسرائيل" لالتزاماتها في الاتفاقيات السابقة، مثل أوسلو، وتضمين رسائل التهديد بأن على الفلسطينيين والعالم القبول بما تراه أمريكا؛ لكونها الطرف الأقوى في المعادلة، وإلا فإن التضييق والعقوبات في الانتظار، والتي فعليًّا قد بدأت. كما أن السلام بالنسبة لأمريكا قائم على هضم الحقوق الفلسطينية، والاعتراف بيهودية الدولة، إضافة إلى دعوة العالَم للتسليم

بيهودية القدس، وتقبّل "إسرائيل" كما هي واحترام سيادتها، وربما يفسّر ذلك ما تحدث به ترامب خلال المؤتمر السنوي للوبي الإسرائيلي في أمريكا بتنظيم أكبر مؤسسات اللوبي؛ منظمة أيباك (AIPAC) عام 2016 خلال دعايته الانتخابية بأنه يعدهم بالاعتراف بالقدس عاصمة لدولة "إسرائيل" اليهودية. والمحاصرة والتضييق المالي على الفلسطينيين. ومحاربة كلّ من يعارض "إسرائيل" وأمريكا في مؤسسات الأمم المتحدة، وهو فعلًا ما تحقّق بعد تولّيه مقاليد البيت الأبيض [26].

**يظهر من خلال متابعة الخطاب الرسمي الأمريكي أن هناك تضليلاً واختلافاً ما بين الخطاب الرسمي وما يدور على أرض الواقع من إجراءات لفرض صفقة القرن على الفلسطينيين وحدهم وقد تمثّل ذلك في أشكال التهديد الاقتصادي والسياسي**

## توصيات الدراسة

تمثّل هذه الدراسة وغيرها من الدراسات المشابهة اختبارًا للخطاب الأمريكي الرسميّ المتعلق بالقضية الفلسطينية والشرق والأوسط بشكل عام، وتدلّل على أن الخطاب الإعلامي الأمريكي لا يعّبر بالضرورة عن حقيقة ما يجري على أرض الواقع، أو خفايا الخطط والصفقات والرؤى التي تسعى إلى تحقيقها في المنطقة، وهذا يستدعي من السياسيين والإعلاميين الحذر في هذا التعامل، والاعتماد على ما يرد فيه بافتراض صحته ودقته. كما توصي الدراسة الإعلاميين ووسائل الإعلام بالانتباه إلى عدة محددات إعلامية عند التناول الإعلامي لـ"صفقة القرن، إضافة إلى السياسات والمحدّدات الإعلامية المتّفق عليها لخدمة القضية الفلسطينية بشكل عام، ويمكن إجمال أهمّها فيما يأتي:

- التعريف بالمصطلحات التي يستخدمها السياسيون، مثل "صفقة القرن"، ومضامينها، وبنودها، وتأثيراتها، وعدم الاكتفاء بنقل المصطلح كما هو بغموضه وانتشاره، وهو ما يستدعي أهمية انتقاء المصطلحات المستخدمة في الصياغات الإعلامية، والتأكّد من دقتها ومصدرها.

- توحيد الخطاب الإعلامي حول الصفقة بما يخدم القضية الفلسطينية، والتركيز على نشر وتعميم الرؤية الفلسطينية للسلام، أو لأي اتفاق أو مبادرة دولية لحلّ الصراع الفلسطيني-الإسرائيلي.

- أهمية الاستحضار الإعلامي لوحدة الصف الفلسطيني الداخلي في مواجهة "صفقة القرن"، وتجنّب الخلافات السياسية الداخلية في الموادّ المتعلقة بسياق "صفقة القرن" والخطابات الرسمية.

- ضرورة الاعتماد على المصادر الصحفية الوطنية ذات المصداقية في القضايا المتعلقة بـ"صفقة القرن"، وعدم الاعتماد على ما ينشره الخطاب الأمريكي والمصادر الإسرائيلية.

• ضرورة تفنيد الرواية والخطاب الأمريكيين والإسرائيليين المتعلّقين بصفقة القرن والرد عليهما بموضوعية، بعرض حقيقة الصفقة، وبنودها، وآثارها، وتحليل أبعادها، والتعقيب الفلسطيني عليها. إضافة إلى التركيز على خطوات ترامب ودعمه لـ(إعلان القدس عاصمة، ونقل السفارة، وقانون يهودية الدولة، وقطع تمويل الأونروا، والاتجاه نحو تصفية قضية اللاجئين، وغيرها) بأنها مجحفة بحق الشعب الفلسطيني، من خلال إبراز مخالفتها للقرارات الدولية، والاتفاقيات السابقة، والقوانين الدولية والإنسانية.

• أهمية ربط الانتهاكات الإسرائيلية بالموقف الأمريكي الداعم لإسرائيل، وتكرار استعراض ما عاناه الشعب الفلسطيني من التهجير والقتل والأسر والاعتداء وسرقة الأرض. إضافة إلى إثارة الأسئلة في وسائل الإعلام حول ما يتوجب على الفلسطينيين فعله، وما سبل الحل والتعامل مع الصفقة من خلال استضافة واستنطاق النخب والمثقفين والمسؤولين حول ذلك، وهو ما يعزّز وعي الرأي العام الفلسطيني والعربي بجوانب القضية كافة.

• على المؤسسة الرسمية الفلسطينية والناطقين باسم الدولة الفلسطينية والأحزاب الفلسطينية أن يستخدموا لغة إعلامية وخطابية آخذة بعين الاعتبار مبادئ هندسة خطاب شامل للقضية الفلسطينية، مبنيّ على تقسيمات الجمهور العالمي، ومؤثرٍ إنسانيًّا، وقانونيًّا، وسياسيًّا، ويخاطب العقل اللاواعي للجمهور الرسمي والشعبي، بحيثٍ توازي في قوتها ومضامينها ورسائلها خطابات الدول العظمى. وهو ما يقتضي أيضًا من الإعلام بشكل عام تفعيل الخطاب الإعلامي باللغات الأجنبية، وبخاصة الإنكليزية.

## الهوامش والمصادر:


1. The Engineering of Consent: A State-of-the-Art Review. Abu Arqoub. Omar. Famagusta : s.n.. 2018. Unpublished Manuscript Submitted for Publication.
2. ماهية التدّفق الإعلامي الدّولي و تطورات خطاباته. عبد الله ثاني قدور. 2014. RIST. الصفحات 7-20.
3. What is Qualitative Research? Jackson . Ronald. Drummond. Darlene K. and Camara. Sakile. 2007. Qualitative Research Reports in Communication. pp. 21-28.
4. Principles of Critical Discourse Analysis. Van Dijk. Teun A. . 1993. Discourse & Society. pp. 249-283.
5. Nvivo. An overview of NVivo. Nvivo. [Online] July 10. 2013. http:// download.qsrinternational.com/Resource/NVivo10/nvivo10-overview.pdf.
6. The White House. The White House. [Online] 2018. https://www. whitehouse.gov/.
7. أحمد عزم . أخطر ما في صفقة القرن. دنيا الوطن. [متصل] 5 حزيران. 2018. https://www. alwatanvoice.com/arabic/news/2018/05/07/1156408.html.

8. هاني المصري. قراءة من منظور فلسطيني في السياسة الأميركية وصفقة القرن. مركز الجزيرة للدراسات. [متصل] 4 تموز. 2018. http://studies.aljazeera.net/ar/2018/06/reports/180604081824831.html.

9. أمجد عرفات. كيف انخرطت الدول العربية بصفقة القرن وما الدور السعودي فيها؟ نون بوست. [متصل] 25 شباط. 2018. http://www.noonpost.org/content/22206.

10. صحيفة الغد. ترامب: حلّ الدولتين ليس الوحيد لإنهاء الصراع الفلسطيني الإسرائيلي. صحيفة الغد الأردنية. [متصل] 15 شباط. 2017. https://goo.gl/6w7vj2.

11. سعيد عريقات. الخارجية الأمريكية تقدم آلية لقطع المساعدات عن الفلسطينيين. القدس دوت كوم. [متصل] 25 آذار. 2018. https://goo.gl/7D9mwK.

12. ليزلي روتون وعلي صوافطة. أمريكا توقف تمويل الأونروا. رويترز. [متصل] 31 آب. 2018. https://ara.reuters.com/article/topNews/idARAKCN1LG2JL?sp=true.

13. العربية. أمريكا توقف مساعدات لمستشفيات القدس الشرقية. العربية. [متصل] 9 أيلول. 2018. https://arabic.cnn.com/middle-east/article/2018/09/09/us-decides-redirect-25-million-usd-east-jerusalem-hospital.

14. The Engineering of Consent. Bernays. Edward L. 1947. The Annals of the American Academy of Political and Social Science. pp. 113-120.

15. Recruiting Women Smokers: The Engineering of Consent. Brandt. Allan M. 1996. Journal of the American Medical Women's Association. pp. 63-66.

16. Bennett. Lance. Engineering Consent The Persistence of a Problematic Communication Regime. Domestic Perspectives on Contemporary Democracy : Domestic Perspectives on Contemporary Democracy. Baltimore : University of Illinois Press. 2004. pp. 132-154.

17. نواف التميمي. نموذج التواصل السياسي لـ"كامبريدج أناليتكا": فبركة الأخبار وهندسة الجمهور. مركز الجزيرة للدراسات. [متصل] 8 أيار. 2018. http://studies.aljazeera.net/ar/2018/05/mediastudies/180508093028286.html.

18. El-Mahdi. Rabab. Engineering Consent: The De-Politicization of The Political. Empowered Participation or Political Manipulation? : State. Civil Society and Social Funds in Egypt and Bolivia. Leiden. NETHERLANDS : BRILL . 2011. pp. 155-173.

19. سهام الشجيري. مفهوم الاختلال والتدفق الإخباري. شبكة النبأ. [متصل] 25 أيار. 2016. https://annabaa.org/arabic/studies/6478.

20. أبعاد التدفق الإعلامي و مخاطره على دول العالم الثالث و شعوبها. مصطفى سحاري. 12. 2012. مجلة الحكمة. الصفحات 18-44.

21. محمد العواودة. التدفق الحر للأنباء... والتضليل الإعلامي. الوتر السادس. [متصل] 22 آذار. 2013. http://alawawdi.blogspot.com/2013/03/blog-post_4785.html.

22. حسن أبو هنية. في تفاهة الحرب على الإرهاب. عربي 21. [متصل] 19 آب. 2018. http://cutt.us/W8WWu.

23. لقاء مكي. الشرق الأوسط الجديد.. اختلاق الفوضى. الجزيرة نت. [متصل] 8 أيلول. 2006. http://www.aljazeera.net/specialfiles/pages/fcc95504-9021-4756-2978-6f191838a7a3.

24. عبد الوهاب المسيري. الشرق الأوسط الجديد في التصور الأمريكي الصهيوني. الجزيرة نت. [متصل] 2 تشرين ثاني. 2006. http://cutt.us/NsAFG

25. إبراهيم أبراش. صفقة القرن : تنفيذ من طرف واحد وليس تأجيلا..د. إبراهيم أبراش. سما الإخبارية . [متصل] 20 نيسان. 2018. http://maannews.net/Content.aspx?id=943255.

26. The White House. Remarks by President Trump and President Abbas of the Palestinian Authority Before Bilateral Meeting. White House. [Online] September 20. 2017. https://www.whitehouse.gov/briefings-statements/remarks-president-trump-president-abbas-palestinian-authority-bilateral-meeting/.

27. Begley . Sarah . Read Donald Trump's Speech to AIPAC. Time. [Online] March 21. 2016. http://time.com/4267058/donald-trump-aipac-speech-transcript/.